المكتبات المدرسية بين النمط التقليدى والتحدى التكنولوجى

هيفـاء شرايحـة
باحثة فى أدب الأطفال ومستشارة
فى علم المكتبات - الأردن

يسعدنى قبل أن أبدأ حديثى بموضوع الندوة، أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم فى طرح هذا الموضوع الهام، الذى أرجو أن يجذب أيضا العديد من المؤسسات الثقافية الأخرى لأهميته وخطورته. خاصة أن مثل هذه اللقاءات تمثل حركة رائدة فى تناول مختلف المشاكل المطروحة فى مجتمعاتنا.

وموضوعنا فى هذا اللقاء هو عن المكتبة المدرسية بين النمط التقليدى والتحدى التكنولوجى.

إن الهدف الرئيسى الطويل الأجل لأى مكتبة يتمثل عادة فى توفير الكتب والمراجع وجميع أوعية المعلومات الأساسية التى تعكس التخصص الموضوعى لتلك المؤسسة، ثم تقديم الخدمات واسترجاع المعلومات على أساس:

1- التركيز على المعلومات الصحيحة والحديثة.

2- السرعة فى تقديم المعلومات.

3- الاختصار فى تقديم المعلومات.

وأهداف المكتبة المدرسية كانت بحد ذاتها متواضعة ومحدودة الطموح، إذ كانت تحاول الإسهام والتعامل مع الجهاز التعليمى الطلابى ولكن بشكل خجول، وذلك لعجز المكتبة فى أغلب الأحيان عن القيام بواجباتها بسبب عدم توفر الجهاز الإدارى والتقنى المتفرغ، ولعدم توفر أوعية المعلومات الملائمة والجاذبة للطلبة والمدرسين، ولعدم وجود موازنة محددة لهذا الغرض.

فبقيت أهداف المكتبة المدرسية التقليدية مقتصرة على الجانب النظرى دون دراسة لمنهجية تنفيذها.

أما الأهداف العامة للمكتبة المدرسية فيمكن إيجازها كما يلى :

1- خدمة المناهج التعليمية المقررة وذلك سعيا لمساعدة المدرسين والطلاب لاستكمال معلوماتهم، وذلك من خلال شراء كتب ودوريات حول مواضيع الدراسة.

2- تحاول المكتبة إبراز إمكانية التعلم الذاتى حتى لا يفهم الطالب أن العلم وقف على الكتاب المدرسى والأستاذ.

3- تنمية قدرات الطلبة واكتشاف ميولهم ومواهبهم ومحاولة تطويرها من خلال القراءات الخارجية.

4- تعريف الطلبة على مختلف أنواع الكتب وعلى طرق استعمالها لعمل أبحاث جماعية وفردية خاصة بجزء من المنهاج أو كنشاطات ثقافية وعلمية مختلفة.

5- اعتبرت المكتبة المدرسية بالإضافة إلى مكتبة البيت، السبب الرئيسى فى تأسيس عادة القراءة عند الطفل لتجعل منه قارئا وباحثا ومفكرا مدى الحياة.

6- تنمية عادة احترام الكتاب واحترام الفكر الموجود داخل الكتاب وتشجيعهم على تأسيس مكتبة فى بيوتهم وعلى كيفية ترتيبها.

7- المكتبة المدرسية هى المكان الذى يلتقى فيه الطلبة بالإضافة إلى القاعة والساحة المدرسية من مختلف الأعمار، لذلك تساهم المكتبة فى خلق المناخات الاجتماعية الصحية والتوجيه نحو العمل الجماعى.

8- اهتمت المكتبة بمفهومها التقليدى بالمدرسين والإداريين وذلك بتأمين احتياجاتهم من مصادر لأبحاثهم أو لقراءاتهم الحرة والهادفة للتثقيف الذاتى.

هذه الأهداف العامة قلما خطط لها ونفذت فى مكتباتنا التقليدية، وبقيت نظريا دون دراسة لمنهجيتها بينما نجد بأن العالم المتقدم قد وضع الأهداف لتنفيذها من جهة ولتقويمها من جهة أخرى.

يمكن القول ـ ودون مبالغة ـ وبعد إطلاعى على معظم المدارس فى الأردن وبعض البلاد العربية، بأنه لا توجد مدرسة جعلت من المكتبة جزءا أساسيا من العملية التربوية، أو حاولت دمج المكتبة فى نشاطاتها التعليمية دمجا عضويا، ولا مؤسسة تربوية أعطت المكتبى المسئول دورا فاعلا فيما يتعلق بالاطلاع على المناهج وتطويرها وتنفيذها، وكذلك المدرسين الذين ينظرون بكثير من التردد والحذر ويشكون فى قدرة المكتبى على استيعاب أهدافهم التعليمية، مما يدل على فقدان عامل الثقة بين المدرس، والمكتبى.

لذلك كله بقيت المكتبة تقف على هامش الصف وتعمل لحاجات آنية لدى بعض المدرسين وبعض الطلاب المجتهدين ليس إلا.

هذه الصورة الواقعية للمكتبة المدرسية بوجهها التقليدى عجزت معظم مدارسنا ـ كما نرى ـ عن تحقيقها، فى حين أن عددا محدودا منها استوفت الشروط والمعايير اللازمة والمعروفة.

ولا يفوتنا بأن هناك محاولات جادة لإنشاء مكتبات أو لتطويرها فى القطاع الخاص والتى ظهرت مؤخرا بسبب التنافس فيما بينها لمراعاة التطور فى أساليب التدريس والدور التى تلعبه تكنولوجيا التعليم.

تكنولوجيا المعلومات والمكتبة المدرسية :

تكنولوجيا التعليم وتكنولوجيا المعلومات «نعنى بها العلم الجديد لجمع وتخزين واسترجاع وبث المعلومات» على أساس استعمال الكمبيوتر. ولأننا نواجه معلومات جديدة هائلة من جهة وعرضة للتغير السريع من جهة أخرى، أصبحت الأساليب التى تعالج هذه المعلومات عاجزة عن استيعاب هذا الكم الهائل بالسرعة المطلوبة، فأصبح التركيز على المعلومة بالذات وليس على الكتاب أو الدورية أو غيرها من أوعية المعلومات.

وكذلك التقدم الكبير فى الأساليب التكنولوجية فى الاختزان والاسترجاع، فلا بد للمسئولين أولا، والمكتبيين ثانيا، من استيعاب هذه المتغيرات والتعامل معها، باستعمال الأجهزة الحديثة وتطوير المجموعات والخدمات المكتبية بما يتناسب وحاجات الوضع الجديد.

كل هذا لم يلغ الخدمات التقليدية وإنما أضاف إليها وأغناها وجعلها أسرع فى التجاوب مع الحاجات الملحة والمستجدة.

إن الاهتمام بالمكتبات المدرسية ودورها الرئيسى فى العملية التربوية والثقافية مازال ثانويًا بالرغم من وجودها، ويعود السبب إلى جهل بعض المسئولين لأهمية خدمات المعلومات سواء من حيث أنها وسيلة للتعليم أو مادة له أو أداة لدعم المكتبة المدرسية، وهذا يتطلب توعية الإدارة المدرسية وتأهيل المدرسين وتشجيع الطلبة لهذا الغرض.

أمية الكمبيوتر والمعلومات :

يمتاز هذا العصر بأنه عصر المعلومات، والمعلومات هى العلم بالشىء ومعرفته. والاستفادة من هذه المعلومات تسبقها عادة خطوات أهمها تنظيم المعلومات والتى لا يمكن الاستغناء عنها، وذلك بحفظها واسترجاعها بواسطة الكمبيوتر. وأصبحت صناعة المعلومات هذه (التخزين والاسترجاع) صناعة قائمة بذاتها، لذلك نجد أنها من أولويات إعداد المجتمع لعصر المعلومات وتهيئته لاستيعاب تكنولوجيات المعلومات والتفاعل معها. وهى بلاشك مهمة تحتاج فى تنفيذها إلى مشاركة فعالة من مؤسسات التعليم الرسمية والمنظمات الشعبية المهنية ووسائل الإعلام وقادة الفكر والرأى فى المجتمع.

أن هدف البرنامج هو أن يدرك الفرد الآثار الإيجابية على عمله وعلى مستقبل مجتمعه الصغير والكبير وما تتيحه من فرص لإغناء حياته الشخصية والاجتماعية[1]. أى أن واجبنا هو محو أمية الكمبيوتر فى مجتمعاتنا، لأن عدم وعى المسئول بالتكنولوجيا يجعله (تحت رحمة الخبراء والفنيين) أو بعض المستغلين فى هذا المجال أو يكون عائقًا أمام المتغير الجديد.

قبل عقدين من الزمن كان العمل المكتبى للدارسين بحد ذاته يشكل إحدى التحديات فى المجتمع العربى، كما أن اختلاف المفاهيم بالنسبة للتسميات فى أيامنا هذه (كالمكتبة والتوثيق، مركز المعلومات، بنوك المعلومات، التوثيق والمعلومات، وسائل نقل المعلومات، وحدة توثيق المعلومات). أدى إلى عدم الوضوح لدى المسئولين وصانعى القرارات، فى حين أن المقصود من كل هذه التسميات المعلومة نفسها والقائمين على توفيرها. وفى جميع الأحوال فان اختلاف هذه التسميات يبرر حقيقة واحدة، هى أنه لابد من اجتماعات خاصة لهذا الغرض.

فى عام 1975، ألغت الجمعية الأمريكية للمكتبيين فى المدارس (American Association of School Librarians) كلمة (مكتبة) كليا وذلك للتركيز على طبيعته كمركز للمواد والأوعية، أو الوسائل المتعددة من مطبوعة وغير مطبوعة، لذا استعمل حتى الآن مصطلح «Media Center» والمكتبى «Media Specialist» أو المختص فى وسائل نقل المعلومات.

الهدف من مركز المعلومات فى المكتبات المدرسية :

إن الهدف من مركز المعلومات يستند إلى المبررات التالية :

1- كثرة المعلومات للموضوع الواحد، بحيث أصبح من المستحيل لأى كتاب مدرسى أن يلم أو يحيط بالحقائق كلها فى تلك المرحلة. ولابد من معلومات جديدة دائمًا.

2- التقدم التكنولوجى بأنواعه إذ أن جميع الطلاب يشاهدون عدة أجهزة تنقل إليهم الإعلانات والأخبار والمعرفة والتسلية، وسوف تبدو العملية التربوية فى الصف محدودة التأثير إذا اعتمدت فقط على الكتاب المدرسى.

---

(1) العرب وعصر المعلومات: ص ٢٦٩.

والمطلوب الرؤيا الحديثة واستيعاب ما هو موجود وما سوف يحدث فى المستقبل، إذ أننا أصبحنا نعجز عن التنبؤ بما ستنتجه التكنولوجيا الحديثة وما يتبعه من مهارات وتقنيات وخدمات.

3- التطور فى أهداف التربية والتعليم وذلك لكثرة المعلومات وتضاعفها، أصبح هدف التعليم، التدريب على البحث وعلى جمع المعلومات وعلى المنهجية الموضوعية، والقدرة على التفكير لاستنتاج حقائق حديثة.

الوسائل المساندة التى تقدمها تكنولوجيا المعلومات :

1- إعداد خريطة للمعرفة العربية فى وضعها الحالى عن طريق تحليل المراجع (Citation Analysis) المعروف فى علم المكتبات، وكذلك من موضوعات المؤتمرات العلمية والثقافية وعناوين الكتب والوثائق العربية.

2- استخدام البرمجيات التعليمية (Educational Software) لتقديم المعرفة الواجبة للمستفيدين.

3- استخدام الأقراص المتراصة (CD-ROM) للحصول على المعلومات بسهولة ويسر.

4- استخدام الكمبيوتر فى بناء المكانز لتحدد التصنيفات الدقيقة لمواضيع المعرفة المختلفة.

5- استخدام نظم المعلومات لبناء بنوك المصطلحات العربية.

6- استخدام البرمجيات التعليمية ثنائية اللغة.

7- خلق الكادر القادر على تصميم وبرمجة وتشغيل مثل هذه النظم المعلوماتية.

وعلينا أن نلحق بالركب بعد أن بدأت المعلومات تظهر حيه بالصوت والصورة والنص باستخدام تكنيك الوسائط الضوئية ذات سعة التخزين الهائلة.

وكذلك نجد أن شبكة الإنترنت أصبحت تشكل تحديا للمعلومات، إذ تمثل الخطوة الأولى لأحداث تغيير جذرى فى الوصول إلى المعلومات الحديثة والمتنوعة، كما ينظر إليها على أنها ستزيد من أهمية المكتبات بجميع أشكالها فى المجتمع بأساليب جديدة للمعرفة.

معالجة المعلومات :

إن معالجة المعلومات كما جاء على لسان المدير العام السابق لليونسكو لدى افتتاحه المؤتمر التاسع لمعالجة المعلومات، قال: «إن معالجة المعلومات ما تزال تبدو لنا من نواحى عديدة بمثابة عصا سحرية، أو آلة تجسد فجأة تلك الرؤى الخارقة من (ألف ليلة وليلة) بساط يعبر الفضاء ويلغى الجاذبية الأرضية، عين سحرية تتيح رؤية الأماكن الأخرى النائية للغاية والإصغاء إليها. ومن المؤكد أن أولئك الذين استسلموا لتلك الحكايات لكى تهدهد مشاعرهم منذ عشرة قرون، لم يخطر ببالهم أن سحرهم يمكن أن يتحول ذات يوم إلى واقع يومى».

وفى الحقيقة فإن معالجة المعلومات تثير عددا معينا من المشكلات الجسيمة، بدايتها الخطر الذى يتمثل فى تقسيم العالم إلى مناطق تتمتع بمعالجة المعلومات، ومناطق متخلفة فى معالجة المعلومات، وهنا لابد من الانتباه إلى نضوج المرحلة التى تستطيع أن تبنى تكنولوجيا متطورة وحديثة، لأن انتشار الكمبيوتر فى البلاد العربية خلال العقد الأخير من هذا القرن كان بشكل عشوائى، بحيث أدت هذه السياسات إلى صعوبة الحصول على قطع الغيار والصيانة وارتفاع تكلفتها، بحيث أصبحت مشكلة يومية نواجهها فى معظم البلاد العربية.

لذلك لابد وأن تكون العملية مدروسة من قِبَل :

1- خبراء ومهندسى الكهرباء لفحص الأجهزة ولفحص بيانات الاحتياجات الكهربائية.

2- مواصفات تكييف الهواء وأن تكون فى منطقة ذات رطوبة وحرارة مقننة وثابتة لكى تعيش فترة أطول لأن التغيير فى درجة الحرارة والرطوبة يمكن أن يمحو الشريط الممغنط، ويتلف الاسطوانة وكذلك التعرض لأشعة الشمس أو للحوادث الخارجية مثل الحريق وغيره.

كما أن العديد من هذه المكتبات المدرسية تفتقر إلى الكوادر المدربة ذات الخبرة العلمية التى هى الأساس فى صناعة البرامج وكيفية استخدام هذه البرامج وتطويرها، وعدم المعرفة بكيفية الاستفادة من قدرة هذا الكمبيوتر.

هذا مع العلم أن بعض المكتبات المدرسية تبنت العمل التكنولوجى بإدخال الكمبيوتر إلى أعمالها، واستخدام حزمة برمجيات CDS/ISIS وبشكل خاص فى بعض المدارس الخاصة فى الأردن.

ومن هذا المنظور يمكن أن يؤسس برنامج للتعاون بين المدارس التى استخدمت تكنولوجيا المعلومات والمدارس الأقل حظا فى الاستعمال، وكذا حث المكتبات المدرسية على إدخال الكمبيوتر إلى أعمالها والاستفادة منه، علما بأنه ماتزال 22% تقريبا من المكتبات المدرسية مفهرسة كتبها[1].

والمدارس التى أدخلت الكمبيوتر إلى مكتباتها وجميعها موجودة فى العاصمة عمان. ومثال على ذلك:

مدرسة البكالوريا.

مدرسة عمان الوطنية.

المدرسة الإنجليزية الحديثة.

المدرسة الأهلية للبنات.

مدرسة المطران.

مدرسة الكلية العلمية الإسلامية.

مدرسة سكينة بن الحسين ـ حكومية.

هذا كما أن بالإمكان أن تقدم بعض المدارس خاصة الحكومية خدماتها ومنتجاتها إلى مدارس أو مكتبات مدرسية أخرى، إذ يمكن أن تتبادل أو تُعير بعض الأفلام أو التجهيزات أو أن تستنسخ بعض الأوعية وتبيعها أو عمل برامج خاصة للكمبيوتر ـ على أن لا يكون ذلك على حساب العملية التربوية.

آمل أن تبدأ المدارس التى ليس لديها مكتبات تقليدية كالتى تعرفنا عليها، أن تبدأ بأن تخطط لخدمات مكتبية أساسية على أن تنمو باتجاه مركز المعلومات.

أما إذا كانت المادة متيسرة عند المدرسة وعندها الجهاز الإدارى والتقنى المؤهل، فمن الأفضل التخطيط مباشرة لإقامة مركز للمعلومات.

---

(1) مجموع عدد المدارس فى الأردن 4442 مدرسة.
- وكالة الغوث 198، مدارس خاصة 1473.
- وزارة التربية 2746، مدارس حكومية أخرى 25.

أما المكتبات الموجودة حاليا فليس من المستحيل عليها أن تتطور مع إمكانياتها فى تحويل المكتبة إلى مركز للمعلومات، إذا توفرت الشروط المناسبة لذلك فى أدنى الحدود المتاحة.

المتطلبات اللازمة للمستقبل :

وفى الختام ولتحقيق أهداف المكتبات المدرسية ونحوها، فإنه لابد من اتخاذ بعض الإجراءات التنظيمية والتقنية لضمان النجاح فى المستقبل.

ويمكن تلخيص متطلبات المرحلة القادمة كما يلى:

1- توفير المال اللازم لجميع المتطلبات اللازمة.

2- توفير المعلومات الحديثة والدقيقة للمستفيدين وخاصة فيما يتعلق بالمعلومات والمواضيع المساندة للمنهاج التربوى.

3- وضع خطط متوسطة وطويلة الأجل للمعلومات ونظمها.

4- زيادة التوعية لأهمية المعلومات وطريقة استخراجها واستخدامها.

5- رفع المستوى التقنى وزيادة فعالية العاملين فى هذا المجال.

هذا مع العلم أنه لا المكتبة المدرسية ولا مركز المعلومات هدفان بحد ذاتهما ـ وإنما هما وسيلتان لتحديث العملية التربوية وارتقائها، والتى هى أيضا ليست بالهدف ـ وإنما الهدف هو الطالب الذى هو الأساس فى العملية التربوية ككل.

المراجـع

1- تكنولوجيا المعلومات/ يونس عبد الرازق ـ عمان: المؤلف 1989.

2- العرب وعصر المعلومات/ نبيل على ـ الكويت: عالم المعرفة، 1994 ـ ص 464.

3- كلمة أحمد مختار أمبو المدير العام السابق لليونسكو، 1986.

4- المعلوماتية العربية/ محمد الرميحى ـ الكويت: مجلة العربى ع 414 1993 ـ ص 12-21.

5- المكتبة المتخصصة والتحدى التكنولوجى/ هيفاء شرايحة ـ عمان: مؤسسة عبد الحميد شومان، (ندوة) 1988.

6- المكتبة المدرسية ودورها كمركز للوسائل التعليمية/ عايدة نعمان ـ الفكر العربى مج3 ع 21، 1981 ـ ص 419.

7- نظام المعلومات الوطنى/ يوسف نصير ـ عمان: المؤتمر الثانى للمكتبيين الأردنيين، 1991.

8- Conditions of School, Libraries in Lebanon/ Aida Naaman .- Lebanon: Library Association Vo. 4, No. 1 1996 .- p31-34.